

أخلاقيات التعليم الجامعي وأثرها على التنافس العالمي Ethics of university education and its impact on global competition

أسماء بن قادة¹

¹جامعة الجزائر 3 - (الجزائر) asbenkada@gmail.com

تاريخ إرسال المقال: 2023/01/18

تاريخ قبول المقال: 2023/03/02

تاريخ نشر المقال: مارس/2023

المخلص:

يكتسب موضوع أخلاقيات التعليم الجامعي أهمية قصوى من حيث الدور الذي يلعبه في تكوين رأس المال الفكري والمعرفي الذي يعتبر مصدرا أساسيا لخلق الثروة حيث يلعب المناخ التعليمي القائم على منظومة قيمية وأخلاقية دورا رئيسا في جعل مخرجات التعليم، مدخلات قوية لمختلف المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، ومن ثم وبهدف تحديد طبيعة العلاقة بين المواثيق الأخلاقية والمناخ والبيئة التعليمية من ناحية وتحقيق جودة التعليم بما يتناسب مع معايير التنافس العالمي بين مؤسسات التعليم العالي من ناحية ثانية، جرى توظيف منهج التحليل الواقعي بما يتضمنه من مؤشرات وكذا منهجية تعدد التخصصات في دراسة هذا الموضوع، ليثبت في النهاية التأثير الواضح للمنظومة القيمية التي يتشربها مناخ التدريس في الجامعة وتتحول إلى جزء من البيئة التعليمية مؤثرة في نوعية التعليم وجودة مخرجاته وكيف توفر فرصا حقيقية للتقدم في تصنيفات الجامعات على المستوى العالمي.

الكلمات المفتاحية: أخلاقيات التعليم، معايير التصنيف، البيئة التعليمية، الشغف العلمي، رأس المال المعرفي.

Abstract

The subject of the ethics of university education and its impact on global competition, is of paramount importance in terms of the role it plays in the formation of intellectual and knowledge capital which is considered essential for creating wealth, as the educational climate based on a value and ethical system plays a major role in making education outputs strong inputs for various economic social and other institutions.

And then, with the aim of determining the nature of the relationship between ethical charters, climate and the educational environment on the one hand, achieving the quality of education and dealing with global competition standards among higher education institutions on the other hand. The realistic analysis approach, including its indicators, as well as the multidisciplinary prove the clear impact of the value system that the university teaching climate absorbs and turns into a part of the educational environment, so that we can see its effects on the outcomes of education and its quality to provide real opportunities for advancement in university rankings at the global level.

KEY WORDS: Education ethics, classification criteria, educational environment, scientific passion, knowledge capital

المقدمة:

كلما نشرت المؤسسات العلمية قوائم تصنيفات الجامعات في العالم، يدفعنا الفضول إلى المسارعة لمعرفة رتب الجامعات في تلك التصنيفات حيث تنصدر الجامعات العريقة الكبرى كالعادة تلك القوائم وتنتذليها أو تخرج منها الجامعات العربية، الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل عن أسباب تلك المواقع المتخلفة؟ وما هي العوامل التي تقف وراء عجز تلك الجامعات على فرض نفسها على خريطة التصنيفات العالمية وجعلها تبيض خارج مجال التنافس العالمي؟ وما هو دور غياب تلك المنظومة القيمية التي يتشربها مناخ التدريس والبيئة التعليمية المحيطة في خلق حالات الشغف والفضول لدى الباحث الأكاديمي بما يمنحه الصبر والجلد والتأني ويقوده نحو الابتكار الذي يدخل الجامعة مجال التنافس العالمي ويؤدي إلى خلق الثروة ويحسن مراتب الجامعات في التصنيف العالمي مع الأخذ بعين الاعتبار ما يثار من جدل حول دقة ومصداقية وشفافية تلك التصنيفات؟

وسعياً وراء فك الإشكالية التي تطرحها الدراسة ومن أجل اختبار وتفنيد الفرضيات التي تطرحها الدراسة تبنى البحث منهج التحليل الواقعي بما يتضمنه من مؤشرات وكذا المنهج المتعدد التخصصات وذلك لمواجهة علاقة التعقيد بين مختلف العوامل المؤثرة في الظاهرة محل الدراسة.

فرضيات الدراسة:

1- لحظة أرخميدس في البحث العلمي لحظة عرفانية لها علاقة بالشغف والفضول والمصداقية وكلها مرتبطة بمنظومة القيم والأخلاق.

2- الحقيقة العلمية معيار التنافس العالمي تكتشف ولا تبنى والاكتشاف نتاج منظومة قيم وأخلاق.

3- التنافس العالمي يخضع لمعايير أساسها أخلاقي.

إن الظاهرة العلمية تكاد تكون ظاهرة أخلاقية حيث هناك تمازج وتشاكل بين الظاهرتين، أليست "الحضارة هي العلم عندما يصبح ثقافة" والثقافة ما هي إلا نظرية في السلوك¹، كما أن البحث عن الحقيقة يقوم دوماً على دوافع سيكولوجية قوامها القيمة الأخلاقية المتمثلة في الصدق، وأي اجتهاد علمي يصل إلى ابتكار أو إبداع أو نظرية جديدة إلا ويكون صاحبها قد مر بحالة وجدانية عرفانية ينتقل فيها من الدهشة إلى التوتر فالقلق حتى يصل إلى الإرهاصات، وهو قد يصاب بالإحباط تارة وبالفرح أخرى، وأي طريق غير هذا الطريق القائم على الانفعال والعاطفة الصادقة إلى جانب العلم بأدواته المعرفية ومناهجه ونظرياته لن تتجاوز رحلة طالب العلم لنيل الشهادة حدود اكتساب المعرفة بدلا من أن تكون رحلته سعياً للقبض على لحظة الحقيقة العلمية، من هذا المنطلق سعت² إلى الربط في هذه الدراسة بين أخلاقيات البحث والابتكار والتجديد في العلم، بما يصل بالجامعات والمؤسسات العلمية لتكون في مستوى

موازين المعايير المعمول بها في التصنيفات العالمية للجامعات حيث أن التنافس العالمي يجري وفقا لمعايير تصنيف الجامعات وتبعا لها، فهناك تصنيف "شنغهاي" و "التايمز" و "كيوأس" وغيرها من التصنيفات العالمية، وتفرض الجامعات نفسها على جداول تلك التصنيفات وفقا لقدرتها على المنافسة عبر أوزان تلك المعايير، وإن كنا نأخذها بكثير من التحفظ بسبب الرهانات الجيوسياسية والاقتصادية التي تقوم عليها .

ويعتبر معيار شنغهاي هو الأصعب بالنسبة للجامعات العربية لاشتراطه 20 بالمئة من معيار التصنيف لعضو من هيئة التدريس في الجامعة فائزا بجائزة نوبل و 10 بالمئة لخريج الجامعة الحاصل على الجائزة كما أن 20 بالمئة من معايير تصنيف شنغهاي تذهب لنشر بحوث في مجالات علمية ذات وزن كبير، ويعتبر تصنيفا التايمز والكيوأس الأقرب نسبيا من حيث المعايير المعتمدة لو رغبتا في مقارنتها مع جامعاتنا لتقدير مدى ابتعادنا أو اقترابنا من أوزان تلك المعايير، حيث معيار كيوأس يعتمد على 6 معايير تحوز فيه السمعة الأكاديمية لتعليم الجامعة على 40 بالمئة وسمعة الجامعة لدى مؤسسات الأعمال على 10 بالمئة ونسبة أعضاء هيئة التدريس إلى الطلبة 20 بالمئة ونسبة الاستشارات إلى أعضاء هيئة التدريس لآخر خمس سنوات 20 بالمئة ونسبة أعضاء هيئة التدريس الأجانب 5 بالمئة ونسبة الطلبة الأجانب المستقبين 5 بالمئة.

أما بالنسبة لمعايير تصنيف الجامعات وفقا ل "لتايمز" فهي تعتمد خمسة معايير رئيسية حيث تحتل فيها بيئة التعليم الجامعي 30 بالمئة والبحث العلمي 30 بالمئة وللاستشارات 30 بالمئة وللبعد الدولي الذي يضم نسبة الطلبة الأجانب المستقبين ونسبة أعضاء هيئة التدريس الأجانب والتعاون الدولي البحثي 7.5 بالمئة والدخل الناتج من الصناعة من خلال تحويل المعرفة 2.5 بالمئة³

المحور الأول : نماذج من مؤشرات متضاربة مع معايير التصنيف.

أولا : نوعية ومضمون مذكرات الماجستير وأطاريح الدكتوراه: مؤشر على غياب المصداقية

إن مذكرات الماجستير وأطاريح الدكتوراه تمثل مؤشرا هاما من حيث طبيعة المواضيع والإشكاليات المطروحة التي غالبا ما تكون إشكاليات بسيطة تعكس تساؤلات مباشرة تغيب عنها روح الاستكشاف والبحث عن الحقيقة والسعي إلى الابتكار حيث نجد موضوعات ومتكررة لا تثير لدى الباحثين أي تساؤلات جدية تعكس إشكاليات حقيقية على مستوى الواقع الفعلي للمجتمع حيث يتقرب المجتمع العلمي ابتداء، ومؤسسات المجتمع المختلفة التي من المفترض أن تتابع مخرجات الجامعات بحثا عن حلول لمشاكلها في تلك المخرجات التي تعتبر مكن رأس المال الفكري والقيمة المضافة ومصدر خلق الثروة، كما يمثل عدم إتقان الباحث للغات الأجنبية التي تعتبر مفتاحا يفتح ذهن الطالب على مصادر ومراجع علمية عالمية غير عربية تضع الباحث في فضاء واسع من الأفكار والأطروحات المتنوعة و المعلومات والبيانات المختلفة وتفتح له آفاقا واسعة في رحاب العلوم التي لا وطن لها، الأمر الذي ينتهي إلى نمطية

واضحة في طرح المواضيع والإشكاليات الخاصة برسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه لتعكس بالنهاية عجزا عن التفكير خارج الصندوق وتؤكد حالة العطالة المعرفية والفكرية التي تعيشها الجامعات العربية وتحول دون دخولها حلبة التنافس العالمي.

كما يعتبر التسرع في اختيار موضوع الأطروحة والسعي الى المواضيع السهلة والمستهلكة والتي تمت دراستها من قبل والتهرب من الأبحاث الصعبة يجعل الأطروحة عاجزة عن تقديم الإضافة المرجوة منها بل بالعكس تكون تكرارا لما سبقها بشكل مختلف حيث تختلف العناوين وتلتقي المضامين وتتطابق وهو أمر مرتبط بالمصادقية في التعامل مع البحث العلمي الذي يقوم على الاستكشاف وليس على ملئ الفراغات من أجل استكمال البحث والمصادقية بالنهاية تمثل قيمة أخلاقية ينبغي أن يتمتع بها الباحث الأكاديمي الذي ينتمي إلى المجتمع العلمي، كما يدل مثل هذا العمل على أن الباحث لا يربط بين البحث العلمي والمجتمع وكذا الواقع الفعلي، في حين أن العلم بات الحل لأي قضية أو ظاهرة أو مشكلة أو سلوك، فالالاقتصاد بات قائما على المعرفة والقرار السياسي أصبح يتطلب خزانة التفكير واللجان العلمية المتعددة التخصصات وخبراء مراكز البحوث لفك اللاتين والضبابية والاحتمية الظواهر المعقدة التي تواجه صانع القرار، وبالتالي لم يعد الاجتهاد العلمي يتقبل التكرار والاجترار للطروحات العلمية بقدر ما يمثل تجديدا مستمرا بهدف إيجاد الحلول لقضايا مختلفة في مجالات مختلفة وهي حلول تصنع في مخابر ومختبرات المؤسسات التعليمية.

ثانيا : التريصات في الخارج مؤشر هام وقضية أخلاقية.

تخصص الدول عادة ميزانية معتبرة للبحث العلمي حيث تتيح الفرصة للأساتذة والباحثين للإطلاع على آخر ما انتهت إليه المؤسسات الجامعية العلمية والعريقة في العالم من نتائج والاستفادة من ذلك فيما يقومون به من بحوث6، الأمر الذي لم يتجلى في تلك البحوث من حيث القيمة والاستثمار وهذه في الحقيقة مسألة أخلاقية تتعلق بالأمانة حيث تحولت الرحلات العلمية إلى رحلات استجمامية وسياحية للبعض لا علاقة لها بالبحث العلمي إذ يستغل الأغلبية تلك التريصات في الفسحة والاستثمار المادي ويضيع البحث العلمي عندما لا نجد لتلك التريصات أي أثر على المستوى العلمي والبيداغوجي فتتحول بذلك اقسام الدراسات العليا الخاصة بالتريصات في الجامعة الى وكالة سياحة وسفر بدلا أن تكون معقلا للعلم وقلعة للاجتهد. الأمر الذي يسلب القيمة المضافة من البحث العلمي و يحرمه من الإثراء العلمي المتوقع عبر تلك التريصات العلمية التي كان من المفترض أن تمثل عاملا مساعدا للتأهيل بهدف الدخول في المنافسة واحتلال مواقع متقدمة في التصنيفات العالمية.

ومن ناحية أخرى تعتبر كيفية استغلال تلك المنح وتوزيعها ودور المجالس العلمية والإدارية في ترتيب المترشحين آفة أخلاقية أخرى كان لها دورها في رداءة وتردي في بعض الجامعات تتطلب إيجاد آليات للضبط تتضمنها المواثيق الأخلاقية التي ينبغي أن يلتزم بها الأساتذة والباحثون والإداريون في نفس الوقت.

ومع ذلك لا يمكن اعتماد براديغم التبسيط في بحث هذه الظاهرة وتفسيرها لأنها تعبر في النهاية عن تأثير مجموعة من العوامل المتداخلة المؤثرة في حياة الأستاذ الجامعي ووضعه سواء من حيث المسكن أو الراتب أو الدعم الذي يتلقاه من أجل القيام ببحوثه، ومن ثم لابد من مقاربات سوسيولوجية تدرس الأسباب الاجتماعية والاقتصادية التي تدفع الأستاذ الجامعي إلى استغلال التربصات في التنفيس عن الذات المرهقة بمشاكل الحياة اليومية.

لذلك لابد من اعتماد براديغم التعقيد لدراسة الظواهر من منطلق كلاني يعتمد على مجموعة من التخصصات، حتى لا ننزلق منهجيا ونقع في التجزيئية التي تؤدي إلى الاختزال وبالتالي اغفال عناصر مهمة في دراسة الظواهر.

المحور الثاني : المعايير القيمية للتنافس العالمي.

أولاً/ الشغف العلمي وعلاقته بالأخلاق والابتكار.

البحث عن الحقيقة في العلم مقام معرفي ابستمولوجي ومقام وجداني عرفاني يقوم على الشغف، وبين المعرفي والعرفاني علاقة قوية ترتبط بالوجدان ذو العلاقة بالشغف، فالباحث عن الحقيقة في الطبيعة والانسان لا يمكن أن ينطلق إلا من خلفية الصدق وللأكاديمي طاقة وقودها الشغف وتتبعه المثابرة والعمل الدؤوب والصبر، والشغف العلمي شعور عارم بالحماس تجاه إشكالية البحث وهو محفز على الاجتهاد المستمر وبالشغف يكون الباحث أكثر إبداعاً ولا يمكن أن يتولد الشغف بغير ذات باحثة عن الحقيقة والبحث عن الحقيقة ينطلق من الصدق الذي هو بالنهاية قيمة أخلاقية تدخل في إطار أخلاقيات البحث العلمية ومن هذا المنطلق يكون التجديد والابتكار نتاجاً لمتتالية منطلقها سيكولوجي ووجداني⁴، فإلى أي مدى تعتبر هذه المنظومة مبنوثة ومنتشرة من طرف الباحثين والمنتمين إلى مهنة التعليم الجامعي، باعتبار العرفان حالة سيكولوجية وجدانية تمتلك الانسان عند ذروة الإرهاصات العقلية التي تعقبها لحظة استرخاء لاواعية تنبثق لحظة ارخميدس انها لحظات الإلهام وهي لحظات وجدانية عرفانية حيث إن الاكتشافات الفجائية مثل اكتشافات نيوتن حول الجاذبية مع سقوط التفاحة أو ارخميدس أو الكوجيتو الديكارتي كلها وان كانت في خلفيتها عقلانية علمية نتاج إرهاصات وتراكم بحثي مرهق ولكنها في طبيعتها وجدانية وهي نابعة عن الجدية والنزاهة والمصادقية في التعامل مع بحث الظواهر وهي قيم أخلاقية ومعاني روحانية ولا يمكن أن تدخل للجامعات ان تدخل مجال التنافس العالمي وعالم الجودة إلا اذا كانت تملك هذا النوع من الرجال المهوسون بروح الاستكشاف وشغف الاكتشاف وهي معاني روحية في أصلها تلغي الزمن وتجعل الباحث يغفل عن كل ما يجري حوله حيث تمر عليه أيام وليالي لا يشعر فيها بشيء غير إرهاصات البحث ومتابعته إلى غاية حصول لحظة القبض على الحقيقة العلمية.

وهنا يمكن أن يفيدنا علم النفس في تحديد أنواع الشغف وعلاقته بالدهشة وحب الاستطلاع والفضول في بحث أكثر توسعاً أما الذي يهمنا في سياق هذا البحث فهو علاقة الشغف بالصدق كقيمة أخلاقية وبالابتكار كمعيار للتنافس بين الجامعات.

ثانيا : الصبر والجلد في البحث العلمي من أخلاقيات التعليم الجامعي:

يحتاج البحث العلمي إلى الكثير من التفرغ والصبر على الصعوبات التي تعترض الباحث وما يقوم به من حفریات معرفية واجتهاد في رحلة دراسته لظاهرة من الظواهر وعدم سعي الباحث إلى اعتماد الحلول السريعة وعدم مواجهة الصعوبات والتحديات واللجوء إلى الحلول التلقيفية يعكس قيمة أخلاقية تتمثل في الصبر والرغبة في الوصول إلى الحقيقة وتحمل الصعاب من أجل ذلك، سيما وأن ذلك هو الذي يحدث الفارق في قيمة البحث دوليا ويخلق التنافس بين الجامعات فيما تحققه من نتائج مرتبطة بالتجديد والابتكار، فالعلم ليس احترافا أو مهنة فنية ولكن للعلم طابعا ثوريا عبر عنه كارل بوبر بالقابلية المستمرة للتكذيب وغاسون باشلار بالخطأ وتصويبه، فالعلم كما يقول باشلار لا يخرج من الجهل كما يخرج النور من الظلام لأن الجهل ليس له بنية بل يخرج من التصحيحات المستمرة للبناء المعرفي السابق⁵، فبنية العلم هي إدراك أخطائه والحقيقة العلمية هي تصحيح تاريخي لخطأ طويل والاختبار هو تصحيح الوهم الأولي المشترك⁶، وكل ذلك يحتاج إلى الكثير من الصبر والجلد والتقاني الذي يتحول إلى خلق يتصف به الباحث.

ثالثا/التواضع والعزلة في البحث العلمي:

إن التواضع وحب العزلة كقيم أخلاقية، من أهم صفات العلماء المبدعون ولقد نأى كبار العلماء والفلاسفة بأنفسهم في لحظاتهم الإبداعية عن الناس، ففي الجزائر لا تزال مغارة ابن خلدون في مدينة فرنجة شاهدة على مخاضات ولادة المقدمة، حيث كان يجد فيها السكينة ويعيش الإلهام وكذلك كان نيوتن مدشن النظام المعرفي الثاني، يوصي أصحابه: "لا تذكروا اسمي أمام أحد، لا أريد أن اشتهر بين الناس فتكثر معارفي"، أما إيمانويل كانط صاحب كتاب "نقد العقل الخالص" الذي يعتبره الفلاسفة أفضل كتاب منذ عهد أفلاطون وأرسطو، فقد غاب عن مجتمعه العلمي 10 سنوات حتى أنبه بعض أصدقائه، ليدركوا فيما بعد أنه كان يعاني مخاضات وإرهاصات، انتهت إلى لحظة ولادة كتابه "نقد العقل الخالص" بينما كان ديكارت يتخفى كلما ذهب إلى السوق وكان أشد ما يزعجه إذا تعرف عليه الناس، وكان يشعر بالسعادة إذا أقام في حي لا يعرفه فيه أحد، إلى أن صدرت بعد مخاض عسير رائعه "مقال في المنهج". والعزلة في هذا السياق تعتبر من شروط الوفاء لمسار البحث عن الحقيقة العلمية الذي يتنافى تماما مع أدنى حد من التشويش، حيث يحتاج البحث العلمي إلى الكثير من التجرد والتجريد وكلاهما يتطلب العزلة، فضلا عن التواضع الذي يبتعد بالباحث عن عقدة التسامي التي تقف حاجزا أمام الباحث تجاه الاستفادة من كل مصادر العلم حيثما وجدت بعيدا عن العصبية الایدیولوجية.

المحور الثالث: المعايير الأخلاقية للبحث العلمي

أولا/الأمانة العلمية.

أولا/الأمانة العلمية.

الأمانة العلمية قيمة أخلاقية تميز الباحث عن الحقيقة العلمية، وأي محاولة للخروج عن هذا

الخلق تنفي صفة البحث عن الأستاذ الجامعي على اعتبار أن الحقيقة العلمية تكتشف ولا تبني بالسرقات العلمية أو بعدم نسب المراجع والأفكار لأصحابها أو التلفيق وتفنيد الفرضيات بما هو جاهز مسبقا مسارعة لإنهاء البحث، كل ذلك ينافي الأمانة العلمية ويخرج عن طبيعة البحث العلمي الذي يقود إلى اكتشاف حقائق من المفترض أن تكون جديدة ولم يتوصل إليها باحثون آخرون من قبل، فالأمانة العلمية تعزز من جودة البحوث والدراسات العلمية كما أنها تركز مبادئ وأخلاق التعاون والتواصل بين الباحثين المهتمين بدراسة نفس الظاهرة والأكاديميين المشتركين في التخصص العلمي⁷ على المستوى الدولي والعالمي، وهي تمثل خلقا يعكس المصادقية في البحث العلمي، وتؤكد كثرة السرقات العلمية والانتحال والاحتيال في استخدام دراسات وبحوث الأكاديميين دون الإشارة إليهم، في مؤسسة علمية ما إلى غياب البيئة الأخلاقية والمناخ المفعم بالقيم والمشبع بالمبادئ الملزمة للباحثين في تلك المؤسسة. وعلى العكس من محاولات التلفيق فإن الباحث عن الحقيقة يكون دوما في حالة من الدهشة وتفعيل الخيال وإخصابه للخيال ومثابرة ومتابعة للحفريات المعرفية ملاحقة للحقيقة من أجل القبض عليها .

ومن ثم لابد من تحديد ضوابط فاعلة تؤطر الأمانة العلمية من طرف مؤسسات التعليم العالي والدوريات والمجلات العلمية المحكمة دفعا للباحث من أجل الالتزام باتباع خط مستقل يقوم على مجهوده الشخصي في البحث وعلى الأمانة في توظيف اجتهادات الآخرين عبر الإشارة إليهم كمراجع ومن ثم تكون الأمانة العلمية تحقيقا للإسقاطية وعاملا مساعدا على الابتكار بعد أن يعتاد البحث على نسب كل فكرة إلى أصحابها سيضطر إلى تقدير مستوى ودرجة اجتهاده مستقلا عن الآخرين الأمر الذي يضطره الى مزيد من البحث والتفاني ليصل الى افضل النتائج عبر الأمانة العلمية واجتهاده الشخصي.

ثانيا / ضرورة تفعيل الرغبة في الابتكار والاكتشاف والتجديد:

إنه الحرص على الشهادة والترقية سلوك مستشر لدى غالبية الباحثين في الجامعات العربية التي تغيب فيها تلك التقاليد العريقة السائدة في كبرى الجامعات العالمية حيث يصل الباحث الليل بالنهار في دراسة إشكالياته المعقدة والبحث عن حلول لها عبر خيال خصب ومثابرة مصدرها الشغف بالعلم القائم على المصادقية والنزاهة وحب الاكتشاف والابتكار والمعرفة وهي قيم أخلاقية تكاد تغيب عن الجامعات العربية التي يسعى غالبية الباحثين فيها إلى المسارعة لمناقشة أطاريحهم ونيل شهاداتهم وغيرها من المؤهلات في سبيل الحصول على ترقية تزيد في الأجور وتحقق وضعاً مادياً واجتماعياً أفضل بعيداً عن روح العلم التي من المفترض أن تنتهي إلى قيمة مضافة تسهم في التأهيل إلى التنافس العالمي وتلعب دوراً في تركيب رأس المال الفكري حيث تشارك في خلق الثروة عبر القيمة المضافة نلمسها متجسدة في الناتج الإجمالي المحلي للدولة، ولذلك تعتبر بحوث الترقية في غالبيتها من أضعف البحوث، و لمزيد من دراسة هذه الظاهرة وعملا بمنهجية تعدد التخصصات لابد من مقاربات سوسيولوجية وسيكولوجية تتعمق في دراسة الخلفيات الكامنة وراء المسارعة الشديدة لتحقيق الترقية.

ثالثاً / الإيمان بالتنوع والاختلاف قضية أخلاقية وهي تشارك في الابتكار

الإيمان بالتعدد والتنوع والاختلاف يفتح آفاقاً واسعة أمام الباحثين سيما في العلوم الانسانية من أجل إثراء رؤية الباحث وإخصاب خياله والابتعاد به عن أي أدلجة أو حمولة فكرية تقوم على العصبية والتحيز ، كما ان الإيمان بالتعدد خلق يتجاوز عبره الباحث رواسب وشوائب ترافق الانسان وتؤثر عليه بسبب أمور مكتسبة يجب أن يتخلص منها من خلال التجرد وهي عملية مجاهدة متعبة لا بد أن يتحملها الباحث حتى يصل إلى التجرد في طريق الاجتهاد العلمي والمعرفي. فالحس المشترك كثيراً ما يسيطر على الباحث ولكن الواقع يبتعد أحياناً عما هو معترف به من طرف الحس المشترك في حين أن تفتح الذهن يتضمن فكرة احتمال عدم توافق الواقع مع الأفكار المكتسبة والملقنة.

لذلك والتزاماً بالروح العلمية لا بد من تجاوز الأحكام والحس المشترك و تفكير الباحث في إيجاد طرق أخرى لتصور الأشياء غير تلك التي تعود عليها، والأمر في هذه الجزئية لا ينفك عن الأخلاق والمبادئ التي تقوم على التنوع والاختلاف. ومقاومة الأحادية والعصبية، الأمر الذي يلتقي مع نظرية كارل بوبر حول تقدم العلم من خلال تكذيب وتقنيذ النظرية حيث يرى بوبر ان الكشف العلمي يتم من خلال التركيز على حركية العلم وتقدمه عن طريق معيار القابلية للتكذيب معتبراً ان كل تكذيب يعكس اختباراً للنظرية وظرفاً علمياً جديداً على أساس أنه سيفضي إلى رصد الخطأ ومن ثم يتحول إلى نظرية جديدة بتصحيح الخطأ الموجود في النظرية القديمة، ومن ثم فإنه من صلب متتالية تكذيب النظريات تتنافس النظريات في الاقتراب من الصدق، ولذلك فان تطور العلم عند بوبر لا يتم من خلال التراكم المعرفي الذي يستند الى الاستقراء العلمي والى البحث عن امثلة ايجابية تدعم النظرية العلمية وانما على العكس من ذلك يتم التطور بالبحث عن أسئلة سلبية تفند النظرية فتحل محلها نظرية أخرى قابلة للتقنيذ فالمعيار الذي يجعل النظرية تتصف بأنها علمية هو قابليتها للتكذيب والتقنيذ أو الاختبار وليس قابليتها للإثبات وهذا المعيار هو الذي يفسر عملية التطور العلمي والابتكار⁸، فمنهج العلم عند بوبر يعتبر منهج طرح فرضيات جريئة يتف إخضاعها للنقد الصارم بهدف الكشف عن الخطأ، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا إذا كانت ذات الباحث مؤمنة بالتعدد والاختلاف والتنوع كقيمة وخلق وتجاوز العصبية لأي نظرية او منهج أو أداة معرفية.

أما توماس كون فيرى بأن تاريخ العلم يمر بثورات دورية تؤدي الى نشوء براديغم جديد داخل الجماعة العلمية وذلك على إثر ظهور وقائع جديدة وحالات شاذة يفشل البراديغم القديم في تفسيرها، تلك الحالات الشاذة يرصدها الباحث والعالم الذي يملك القدرة على تجاوز التفسير الكلاسيكي للظواهر وفقاً لنموذج القديم القائم⁹، إنها التفتح الذهني القائم على خلق ومبدأ التنوع والانفتاح على كل الأفكار والتفسيرات والتأويلات العلمية.

وفي هذا السياق يؤمن غاستون باشلار بالطبيعة الابستمولوجية، وبأن الخطأ يلعب دوراً ايجابياً في

توليد المعرفة وإن القطيعة مع المفاهيم السابقة تنبثق عن الأخطاء المتراكمة عن طريق المماحكة والجدلية والصراع الداخلي ولقد ركز باشلار على الرفض والنفي بصفته موقفاً أساسياً من النظريات المسيطرة بحكم العطالة الذاتية وتكريس الزمن، وعن طريق هذه المنهجية الاحتجاجية الجدلية تنبثق الحقيقة التي تمثل بدورها خطأً مصححاً، فتاريخ العلم هو تاريخ أخطاء العلم¹⁰، وكل انبثاق لحقيقة وفقاً لهذا المنهج هو انبثاق لا ابتكار، والذي يهمننا في هذا السياق سواء تعلق الأمر ب:كارل بوبر أو توماس كون، أو باشلار هو فك العطالة الذاتية للباحث من خلال خلق الانفتاح والتجاوز والايمان بمبدأ الاختلاف.

الخاتمة

ننتهي في هذا البحث إلى أن المنظومة الأخلاقية التي ينبغي أن تتحول إلى مواثيق شرف قوية وتقاليد عريقة في الجامعات هي من يخلق المحيط والبيئة المناسبة التي تضع الباحث في أجواء تموج فيها الحركة العلمية وتحتفي فيه المجموعة العلمية بالباحثين والأكاديميين الجدد اللذين يحظون بالدعم وكل أشكال الخدمات والآليات الإدارية المساعدة، بما يؤدي إلى الإبداع والابتكار، الأمر الذي يفند ما جاء في الفرضيات المطروحة، ويساعد على التقدم في حلبة التنافس العالمي واكتساب مواقع متقدمة تعكس الجهود المبذولة في سبيل الالتزام بتلك المنظومة الأخلاقية، ولتفعيل ذلك نطرح التوصيات الآتية:

- 1- ضرورة تعميق مواثيق أخلاقيات التعليم الجامعي بحيث يجري ربطها بأثرها على الابتكار والتجديد.
- 2- العمل على خلق وترسيخ بيئة تعليمية تشكل مدخلاً للتعليم العالي كي ينتهي إلى مخرجات قوية تسهم في عملية خلق الثروة من خلال ما توفره من رأس مال فكري ومعرفي.
- 3- تحسين الظروف المادية والاجتماعية لأساتذة التعليم الجامعي والباحثين بما لا يجعل تلك الظروف تؤثر في درجة التزامهم بأخلاقيات التعليم الجامعي وفي نوعية إنتاجهم العلمي.
- 4- ضرورة مراجعة المجالس العلمية لايجاد معايير جديدة تقوم عليها العلاقة بين الترقية وجودة الابحاث المرتبطة بها وجدنتها ورصانة بنائها العلمي كي تفتح باباً للإشارة إليها والاستشهاد بها في المراجع العلمية الحديثة.

الهوامش:

- 1- بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، 2000، ص25.
- 2-Christophe Strassel, Les enjeux géopolitiques de la mondialisation universitaire, Hérodote 2018 , N 168, pp18-21.
- 3- Pierre Joliot, La recherche scientifique ? Une passion, un plaisir, un jeu, Flammarion Jeunesse, 2017, p64.
- 4-Pierre Joliot, La recherche scientifique ? Une passion, un plaisir, un jeu, Flammarion Jeunesse, 2017, p64.
- 5-Gaston Bachelard, La philosophie du non: Essai d'une nouvelle philosophie du nouvel esprit scientifique, bibliotheque de philosophie contemporaine, Presses universitaires de France, Paris, 1949, p17.
- 6- Gaston Bachelard, La formation de l'esprit scientifique : contribution a une psychanalyse objective, Vrin, Paris, 1970, pp16-19.
- 7- Maurice Angers, Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines, Editions CEC, 2009, p49.
- 8- Karl Popper, La logique de la découverte scientifique, Payot, Paris, 1973, pp36-39.
- 9- Tomas Kuhn, La structure des révolutions scientifiques, ed: Flammarion, Paris, 1983, p71.
- 10- Gaston Bachelard, Le nouvel esprit scientifique, Presses Universitaires de France, Paris, 2003, pp52-54.